

منهج تدريس القرآن الكريم لدى المعلم الفراهي

- د. محمد أكرم السلام الأعظمي¹

كان سيدنا محمد رسول الله ﷺ يتلقى القرآن الكريم من لدن حكيم حميد فيتلو ما ألقى إليه من آيات الله ويعلم الناس إياها والحكمة التي تتضمنها ويزكيهم بها فكان هو نفسه أول معلم ومدرس للقرآن الكريم؛ هذا ما صرح الله به سبحانه في سورة البقرة، مرتين في سورة البقرة، مرة في سورة آل عمران ومرة في سورة الجمعة² كما صرح بهذه الحقيقة هو نفسه ﷺ إذ قال مشيراً إلى غاية بعثته: "إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا"³ ثم يأتي القرآن الكريم بذكر جانب مهم من جوانب هذا التعليم الذي هو ميزة الرسالة ومغزى النبوة فيقول: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"⁴ وهكذا بلغ النبي ﷺ الرسالة وأدى الأمانة فأخذ عنه أصحابه القرآن لفظاً ومعنى وبلغ الشاهد الغائب ومازال يتناقله جيل بعد جيل حتى وصل إلينا علم غزير وعمل كثير.

وتعليم القرآن الكريم وتدرسه له أبعاد مختلفة وجهات متنوعة إلا أنا إذا أمعنا النظر في هذه الجهات والأبعاد وجدناها منقسمة إلى قسمين أساسيين بارزين وهما: (1) تعليم الحروف والأصوات و(2) تعليم الحكمة وتبيين الآيات؛ فيشمل القسم الأول تجويد الحروف ومعرفة الوقوف وترتيل الآيات وتحفيظها كما يتضمن جمع القرآن وتدوينه وقواعد الكتابة والإملاء

¹ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلهي

² سورة البقرة (129 و151) وسورة آل عمران (164) وسورة الجمعة (2) فقال مثلاً: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"³

³ عن عبد الله بن عمر رواه ابن ماجه برقم الحديث: 229

⁴ سورة النحل: 44

ورسم الخط وما إلى ذلك. ويحتوي القسم الثاني تأويل الآيات وتفسيرها وتبيين الحكمة التي لا تزال محتفية كالدرر في نظم الآيات والسور ويضم هذا القسم كذلك مدلول المفردات واختلاف الدلالات والتراكيب والأساليب والحجج وما إلى ذلك.

أما تعليم الحروف والأصوات فيؤكد حكمه مستهل الوحي وكلمات الوحي البدائية ولا يبرز هذا الحكم وردت في كتاب الله كلمتان "القراءة" و"الترتيل" اللهم إلا أن هذه القراءة ليست قراءة عادية كسرنا الكلمات العربية بل هي قراءة خاصة لها آدابها وأصواتها قد قام بتعليمها الله جلّ وعلا نفسه فقال: "سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى" ¹ وأكد كذلك: "فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" ² وتدل هذه الآية على لزوم تأدية الحروف حقها ومنهج أدائها وقراءتها قبل أن يأخذ أحد في تتبع معانيها وكشف أسرارها كما استشهد المحقق الجزائري بنفس هذه الآية أن فن التجويد والترتيل والقراءة مما أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم فهو منصوص ومنزل من الله ³ وشأن كلمة الترتيل لا يختلف تماماً عن كلمة القراءة فلم ينزل الله حكم الترتيل على نبيه بحتاً كما وردت هذه الآية: "أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً" ⁴ إلا قام الله بأداء هذا الترتيل نفسه فقال: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً" ⁵ فثبت أن القراءة والترتيل والتجويد علمها الله النبي كما علمه أمور العبادة وآداب القيام بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أقرأني جبرئيل ⁶ وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاءه بني غفار، قال فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن ⁷ ولا يزال هذا العمل والتمرين للتجويد والقراءة والترتيل جارياً جليلاً بعد جيل إلى يومنا هذا حتى

¹ سورة الأعلى: 6

² سورة القيامة: 18

³ مجلة دراسات دينية الصادرة عن كلية أصول الدين واللاهوت بجامعة علي كره الإسلامية، ص 99 عام 1990-1991م

⁴ سورة المزمل: 4

⁵ سورة الفرقان: 32

⁶ صحيح البخاري، رقم الحديث: 3219

⁷ صحيح مسلم، 204/1

شهد التاريخ بأن سيدنا عثمان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لما أمر بنقل المصحف الذي كان قد تمّ إعداده في زمن سيدنا أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرسل النسخ المنقولة إلى العواصم الإسلامية المختلفة آنذاك لتكون قراءة القرآن الكريم موحدة، أرسل مع كلّ نسخة منها صحابياً مقرّناً ليعلّم المسلمين الجدد القراءة الصحيحة¹ ولعل هذا هو السبب وراء ما قال سيدنا عمر بن عبد العزيز عن القراءة والترتيل أنها سنة متبعة².

وكما يتضمن القرآن الكريم أحكام القسم الأول من تعليم الحروف والأصوات؛ يحتوي القسم الثاني من تبين الآيات وتعليم الحكمة بما يلزم من الصراحة والتفصيل فيقول: "وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (سورة الجمعة: 2)، "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل: 44)، "كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ" (سورة ص: 29)، "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي الثَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (سورة الأعراف: 157).

وضمن هذه الأحكام نجد أنّ الله جلّ وعلا لم يقتصر على الأمر بالتعليم والتبيين بل تجاوز ذلك وزوّدتهما بالممارسة والمران من لدنه فحينما أمر "لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" قام تعالى نفسه بهذا التبيين فقال: "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (سورة القيامة: 19) وكما قال: "كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (سورة آل عمران 103) فمرّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل هذا التمرين الذي تم تنسيقه من لدن حكيم خبير كما صرح القرآن الكريم بهذا فيقول: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

¹ مناهل العرفان، 406/1

² أحسن البيان في علوم القرآن للدكتور حسن الدين أحمد

لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ (سورة النساء: 105) وبهذا القسم الثاني نفسه يتعلق فن التأويل والتفسير ويتبين كذلك بما أوردنا من آيات الذكر الحكيم فيما سبق أنّ المقصود من هذا التبيين هو التدبر والتفكر فيها، اللهم إلا أنّ الغاية القصوى والهدف الأسمى وراء هذا التدبر والتفكر هو التذكر بها.

ثم لهذا القسم الثاني أي التبيين والتأويل جزآن جزء ما وصل إلينا نقلاً عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كلمات ودلالات ومعانٍ؛ وجزء ما زال ولا يزال مكتوناً في أعماق كلمات الكتاب وطيّات تراكيبها إلى يوم القيامة ولا يهتدي إليه إلا من وفقه الله عزّ وجلّ من أولي العزم والهمم الذين يتلون كتاب الله ويتدبرون آياته ليلاً ونهاراً طلباً للآيات فالقرآن الكريم يحضّ القارئ لهذا السبب على التدبر والتفكر دائماً فيقول مثلاً: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (سورة محمد: 24) ويثني كذلك على من يصغي إلى أحاديثه برأسه وأذنه مع بالغ الاهتمام فيقول: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" (سورة ق: 37) فهذا هو الجزء الذي أشير إليه في هذا الأثر: لا تفتن عجائبه، ولا تنقض غرائب¹. فالأثر يدلّ كذلك على أنّ القرآن الكريم يتضمن الأبدية والعالمية حيث تنتفع بعلمه ومعارفه البشرية جمعاء وتستمر في الاستخراج من كنوزه الدرر الكامنة إلى أن تقوم الساعة.

ومن المعلوم أنّ سلسلة كلا القسمين تعليم الحروف والأصوات وتعليم الحكمة وتبيين الآيات سلسلة مباركة وسنة متواترة ولا تزال جارية في هذه الأمة من عهد النبوة فأصحاب النبي كانت لهم حلقات دراسية للقرآن الكريم يتذاكرون فيها كلام الله وبعضهم كانوا يهتمون بكتابة الصحائف وإعداد المذكرات في بعض الأحيان إلا أنّ هذه السلسلة الذهبية المباركة بقيت شفوية تتناقل من صدر إلى صدر حتى القرن الثاني الهجري إذ بدأت العلوم الإسلامية تدوّن حقاً فأخذوا يدوّنون كلا القسمين كما كانوا يتناقلونها من قبل شفويّاً ويجدر بنا الذكر أنّ الجزئين لتعليم الحكمة وتبيين الآيات أي التفسير بالمنقول

¹ بحار الأنوار، 284/2

والمأثور والتأويل بالتدبر في الآيات كلاهما ما زال ولا يزالان يتداولان منذ صدر خير القرون إلى يومنا هذا حتى نرى ما نرى في كتب التفسير من اختلاف التأويل وتضارب الآراء وهذا الخلاف ليس محصوراً في المتأخرين بل يوجد كذلك لدى المتقدمين حتى نشاهده في زمن الصحابة والتابعين فلو أثر عن النبي شيء صحيح بسند صحيح في الآية أو الآيات التي وقع الخلاف بينهم في تأويلها لما اختلفوا وما تضاربت الآراء فثبت أن المتقدمين حتى الصحابة والتابعين كانوا يفسرون الآيات بما ترشد إليه عقولهم بعد عملية التدبر والتفكر فيها لأن اختلاف الأقوال والآراء نتيجة لاختلاف العقول لا غير.

وبعد عصر التدوين حينما جاء عدد من المؤلفات في التفسير وعلوم القرآن وضع الواضعون المقررات الدراسية لتعليم القرآن الكريم وتدرسه فالمقرر الدراسي لتعليم القرآن الراجح آنذاك في العالم الإسلامي عامة ولشبه القارة الهندية هذه خاصة لم يكن يسمح بتدريس الآيات ومتون القرآن مباشرة بل يكتفي بدراسة مختارات ومنتخبات من بعض كتب التفسير العربية وهذه الصورة المؤلمة كان قد ذكرها أحد مؤسسي دار العلوم ندوة العلماء بلكاؤ ومعتمدها الأول للتربية والتعليم العلامة شبلي النعماني قبل مئة عام فيقول:

"وأكثر ما يبعث الحيرة أن القرآن الكريم الذي هو روح الإسلام ومغزى الدين القيم قلما يعتنى به فالمقرر الدراسي العربي اليوم يشمل كثيراً من كتب كل علم وفن ولكن قد تسرب إليه كبير عيب وقبيح نقص بأنه لا يعتنى بدراسة القرآن الكريم إلا قليلاً فلا يتضمن كتب التفسير وملحقاتها إلا يسيراً فيشتمل منها كتابين فقط (1) البيضاوي (2) والجلالين؛ ولا يدرس من البيضاوي سوى الجزئين والنصف ويدرس الجلالين كاملاً إلا أن كلمات هذا الكتاب وحروفه قد تساوي كلمات القرآن نفسها لأجل اختصاره البالغ. فالقرآن الكريم يتطلب الاعتناء به أكثر بكثير".¹

وقول العلامة النعماني هذا في المقرر الدراسي لتعليم القرآن الكريم ما زالت ولا تزال

¹ خطبات شبلي، مطبعة معارف، أكاديمية شبلي، أعظم كره، 1990م، ص 26

تصدقه حتى يومنا هذا المعاهد الإسلامية الهندية التي تلتزم في مناهجها الدرس النظامي حتى بعد أن مرّ على وفاة القائل أكثر من مئة عام فيلّى الله المشتكى!

مدرسة الفراهي: تسمى بهذا الاسم لنسبتها إلى الأستاذ عبد الحميد/ حميد الدين الفراهي رَحِمَهُ اللهُ (1863-1930م). هذه المدرسة أصلاً هو منهج التدريس ومنهاج التعليم الذي يسلك درب التفكير والتدبر في آيات كتاب الله ونصوصه مباشرة فلا يلجأ في صفوف المحاضرة حين تدريس القرآن الكريم إلى أيّ كتاب لل تفسير بل تدرس متون القرآن مباشرة ويجتهد في فهمها والتوصل إلى الحكمة فيما بينها ويمارس الطلاب على هذا الدرب كذلك.

والأستاذ الفراهي كان بما وهبه الله مجدداً عظيماً في علوم القرآن ومفسراً نحريراً فقد غير النظام الراجح القديم الذي لا يعتني بنصوص كتاب الله بغير واسطة حق الاعتناء وأنشأ مقابله نظاماً جديداً لتدريس القرآن الكريم المباشر ووضع منهجاً حديثاً مبنياً على التدبر في آيات الله لم ير التاريخ له نظيراً فيما قبل، فوضع الفراهي لفهم القرآن وتدرسه أصلاً جليلاً شأنه وعظيماً قدره ألا وهو نظم القرآن فلا ريب أنّ هذا الأصل كان قد ذكره المتقدمون وأشادوا بعظمته وأهميته ولكن لما يتكامل ولما يرتق إلى أصل أساسي لفهم القرآن حتى يبرز الفراهي وكتب عنه ما كتب وفصل فيه وبرهن عليه فصار منهاجاً ناجحاً للتوصل إلى ما في آيات الله من حكمة بالغة ودرة ثمينة كما صرح به في مقدمة كتابه "نظام القرآن":

"وكنّت في هذا على بصيرة من ربي، غير متبع لأحد، ومع ذلك لم أكن ببدع في تتبع النظام، لأنّ جماعة من العلماء قصدوا إليه، وصنّفوا فيه..."¹

ثم زاد هذا التصريح فيقول:

"... وإنما نقلت ذلك لتعلم أمرين: الأول أنه ليس مما سكّت عنه العلماء، والثاني أنّ

¹ نظام القرآن (ديباجة الكتاب)، ص 15

هذا عبء ثقيل لم يقم له إلا قليل، وخبأ ومستور لم يخرج منه إلا يسير. وقد يسّر الله تعالى لي، بحض نعمته، فهم نظم القرآن في سورة البقرة وسورة القصص من نفس القرآن، وإني كنت مولعاً بتلاوته، وهو أحب الكتب وألذّه عندي، والله الحمد! وقد كنت أسمع أنّ القرآن أشدّ الكتب نظماً لنزوله نجماً نجماً، ولكن بعدما ظهر لي النظام في سورتين، حثني على التدبر في باقيها؛...¹

فوضع الفراهي لمنهجه هذا أصولاً وفروعاً وقدمها إلى مَنْ تهتمهم من أعلام الأمة وصنّف فيها لإيراد الأدلة والأمثلة كتباً مهمة متنوعة ودرسها أمام الطلاب والأساتذة واختار منهم تلاميذ نجباء حملوا بعده هذا العبء بجديّة متميزة. والذي يميز هذا المنهج هو حقيقة ثابتة أنّ لكل سورة عمود وموضوع أساسي وعنوان مركزي تربط به جميع آيات السورة مع ما فيها من جميع الأحكام والحجج والحكم بمناسبة بليغة أنيقة. (ولمزيد من التفصيل راجع مؤلفات الفراهي مثلاً: "نظام القرآن"، "دلائل النظام" و"أساليب القرآن" وغيرها)

وبتقديم هذه الطريقة الممتازة والمنهاج القويم أبرز الفراهي، من جهة، أمام الأمة ما كان في المنهج القديم الرائج آنذاك في العالم الإسلامي بأسره عامة وفي شبه القارة الهندية خاصة من تعقيم وإهمال وعرف أمامها من جهة أخرى منهجاً ممتعاً متكاملأً أكثر منه نفعاً ليس له في التاريخ مثال؛ فهو يستحق من الأمة جميل الثناء والاعتراف بدوره الريادي في مجال التفسير.

فقد أشاد بذكر الفراهي ومنهجه الممتاز لتأويل القرآن وتدريسه عباقرة العصر مثل العلامة شبلي النعماني فدعاه النعماني إلى دار العلوم ندوة العلماء بلكاؤ حينما كان هناك معتمداً للتعليم والتربية لإلقاء دروس القرآن فتلبى نداءه وخصّ إجازاته لهذا الغرض فاستمرت دروسه القرآنية التي يحضرها الأساتذة وكبار الطلاب سنتين.² وكان من عادة الفراهي أنه يهتم بإلقاء الدروس القرآنية حيثما يكون حلاً وترحالاً

¹ المصدر نفسه، ص 17

² حيات شبلي لسيد سليمان الندوي، مطبعة معارف، أكاديمية شبلي، أعظم كره، 1993م، ص 433

فيقول الدكتور شرف الدين الإصلاحي في كتابه "ذكر فراهي":

"فن مدينة كراتشي إلى مدينة حيدرآباد حيثما نزل واستقر مشغلاً بوظيفة، أقام لإفادة كل من له طلب إلى علم القرآن الكريم حلقات لدروسه؛ بل تجاوزت إفادته هذه إلى كل بلدة ومؤسسة ينتمي إليها، فبرزت مدرسة الإصلاح مركزاً خاصاً لدروسه وقد ذكروا أمثال هذه الحلقات في رحاب ندوة العلماء بمدينة لكناؤ، وفي رحاب الجامعة المالية الإسلامية بمدينة دلهي؛ ولما سافر إلى الحجاز لحج بيت الله درس هناك كذلك، حتى كان قد أخذ في تنظيم سلسلة الدروس بمدينة بنارس كلما ذهب إليها لزيارة أخيها بها".¹

ويقول الشيخ سعيد الأنصاري إنَّ الأستاذ الفراهي كلما زار "دار المصنفين، أكاديمية شبلي" خلال إمضاء إجازته الصيفية في وطنه بأعظم جراه قدّم دروس القرآن الكريم في رحابها فكانت ألامه أثناء الفترة وأتعلّم منه كلّبيذ له فيذكر:

"وقرأت على المعلم عبد الحميد (حميد الدين) الفراهي الأنصاري بأعظم كره، وكان أواحد زمانه وفرد أوانه في علم التفسير، متضلّعاً بالعربية والفارسية والأردو والإنكليزية والألمانية والعبرانية، وكان لي عنده فائدة ومنه حظ لما يذكر دروس القرآن لي بدار المصنفين حين يقدمها من حيدرآباد الدكن لإمضاء زمان التعطيل الصيفي في وطنه، فكانت أغشاه وأجلس إليه وآخذ عنه وأعرض عليه شعري، وسمعت بإفادته الكثير".²

اللهم إلا أنّ مدرسة الإصلاح قد تفردت بكونها مركزاً خاصاً رئيسياً حيث يلتقي الفراهي دروسه القرآنية وتشرف بإكمال القرآن الكريم بتمامه فيها مراراً كما يصرح به

¹ ذكر فراهي للدكتور شرف الدين الإصلاحي، دار التذكير، غزني استريت، أردو بازار، لاهور، 2002م، ص 857

² مجلة الهند، العدد 4 (ديسمبر 2012م)، ص 127

سيد سليمان الندوي في إحدى مقالاته:

"كان الأستاذ الفراهي قد ألقى ما دام حياً وأتم (بالمدرسة) دروسه للقرآن الكريم بكامله عدة مرات من وجهات متنوعة في حلقة مؤلفة من الأساتذة و كبار المتعلمين وعلّهم كذلك بعض الفنون والفروع للفلسفة الحديثة فأخذ عنه بعض الطلاب المجدين المجتهدين واستفاد منه حق الاستفادة؛ أجدرهم بالذكر المولوي أمين أحسن الإصلاحي الذي نرجو منه الكثير في المستقبل".¹

وكان من أهم المشاركين في هذه الحلقة ما عدا الشيخ أمين أحسن الإصلاحي كما هو معروف 1- الشيخ أختر أحسن الإصلاحي و2- الشيخ نجم الدين الإصلاحي. وبادر هؤلاء الجهابذة الثلاثة فيما بعد بألسنتهم وأقلامهم إلى نقل كل ما وصلت إلى رجال العلم والدين ومؤسسات البحث والمعرفة من موارث الفراهي الأدبية والعلمية وبالأخص ما قام الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بجهود متواصلة لإبراز أعمال الفراهي المتنوعة بتعريفها وتدوينها وتحقيقها وشرحها وترجمتها إلى الأردية لغة الإسلام والمسلمين عامة في شبه القارة الهندية ثم ألف هو بنفسه تسعة مجلدات ضخمة في تفسير القرآن العظيم وسمّاه بـ"تدبر قرآن" فجاء فيه بآراء أستاذه الفراهي بمعظمها حول الآيات القرآنية وتأويلها وزودها لإيفاء شرحها وإيضاحها بمزيد من الأدلة والأمثلة من لدنه حتى صار تفسير الإصلاحي هذا كنزاً مفيداً لأفكار الفراهي وعلومه. ثم أخذ من هؤلاء الثلاثة المذكورين أعلاه جيل مثقف تخرج في علوم الفراهي ومناهجها وقام بخدمات متميزة في نشرها وشرحها؛ من أبرز رجاله الشيخ جليل أحسن الندوي والشيخ صدر الدين الإصلاحي فأولهما تولى مهام التدريس في شتى المعاهد الدينية بالبلاد خاصة بمدرسة الإصلاح حيث استفاد من التلميذ الرشيد للفراهي وعميد المدرسة آنذاك الشيخ أختر أحسن الإصلاحي وبجامعة الفلاح نهائياً حيث عين شيخ التفسير والحديث واشتهر

¹ ياد رفتگان لسید سلیمان الندوی، مطبعة معارف، أكاديمية شيلي، أعظم كره، ط2، 1986م، ص 132

بنبوغ فكره البالغ العالي وعلمه الراسخ الغالي فرّبّ جيلاً جديداً على منهج الفراهي وثانيهما صنّف عديداً من الكتب وأول تفسير للقرآن من نوعه تاريخياً على هذا المنهج سميّ بـ"تيسير القرآن" ولأسباب مجهولة بقي هذا التفسير غير مكتمل.

منهج التدريس: لم يؤلف الفراهي فيما نعلم كتاباً حول منهج التدريس للقرآن الكريم فنرجع إليه للأخذ عن أصوله وطرقه في تعليم القرآن وتدرّسه ولعل الخبراء بأعماله لم يشيروا كذلك إلى أيّ مخطوط أو مكتوب له حول الموضوع اللهم إلا أنّ المنهج المقبول لدى تلاميذه ومسترشديه الذي تسيّر عليه مدرسة الإصلاح وأخواتها بالفعل يغنينا عما سواه فأول شيء يفيدنا في هذا الصدد هو كلمة تلميذ الفراهي المباشر الشيخ نجم الدين الإصلاحي التي ألقاها في ندوة دولية حول حياة الفراهي وأفكاره وأعماله برحاب مدرسة الإصلاح، فيقول:

"وكان من عادة أستاذنا الفراهي أنه يجلس بعد صلاة الفجر في رواق مدرسة الإصلاح الشمالي فيجتمع حوله جميع الأساتذة وأنا أبدو بتلاوة آيات من القرآن الكريم فبعض الأحيان يطرح بعدها الأستاذ أسئلة حول الآيات المتلوة ويرد بنفسه عليها؛ ويهتم أولاً بترجمة الآيات ثم يقوم بحث مستفيض في مشاكلها النحوية وغوامضها اللغوية فيثني خلالها من المفسرين على الإمام ابن جرير الطبري لرأيه الصائب وتحقيقه الفاحص وعلى الشاه عبد القادر (الدهلوي) لترجمته (الأردية) الأنيقة (للآيات) فيصدق مع كل انشراح وبشاشة بما يقول العلماء في كون ترجمة الشاه للقرآن الكريم إلهامياً؛ وإذا خالف المفسرين في ترجمة آية أو تأويلها ذكر أوجه الخلاف، وإذا اختلف معه أحد من الأساتذة في رأيه أقنعه بذكر سبب الاختلاف؛ فكان الدرس يوماً من الأيام بسيطاً جداً وعادياً، إلا إذا جاء أحد بما يخالف رأي الأستاذ أصبح الدرس يومئذ ذا بال شديد وملئاً بحجج الحقائق والمعارف حتى صار الذين أوتوا العلم مبهوتين".¹

ويسلك نفس المنهج الشيخ جليل أحسن الندوي وهو من أخص الأفاضل الذين استفادوا

¹ علامه حميد الدين فراهي: حيات وأفكار، ص 33-34

من الشيخ أختار أحسن الإصلاحي، فالطرق والمناهج التي يسير عليها الشيخ خلال تدريسه للقرآن الكريم في الفصول عامة بجامعة الفلاح هي كما يبينه أحد تلاميذه فيما يلي:

"(1) يبدأ الدرس ببيان عمود السورة وإيضاحه، (2) فيقوم بحلّ التراكيب النحوية وتوضيحها، وما يطرأ على المراد والمعاني من اختلاف وتباين باعتبارها، (3) ويأتي لآيات الدرس بنظائرها من القرآن، (4) ويرشد إلى مختلف التأويل في الآيات والفرق بين هذا وذاك، (5) ويشرح الآيات في ضوء الأحاديث، (6) ويرجع إلى المعاجم اللغوية لتعيين المراد وتوضيح المعاني، (7) ويبين الخطاب وأساليبه في القرآن لكي يتضح بها اختلاف آراء المفسرين".¹

وكتب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في هذا الصدد عن تعامل نفسه: "قضيت أربع عشرة سنة معلماً للغة العربية وعلومها فكنت أعلم خلالها طلاب السنوات النهائية القرآن والأدب وفلسفة التاريخ".²

فكان الشيخ الإصلاحي بالإضافة إلى ما قام بخدماته التعليمية بمدرسة الإصلاح بالهند المتحدة قد أقام بباكستان حلقة لدراسة متعمقة للقرآن الكريم باسم "حلقة تدبر القرآن" فكل ما قدّم الشيخ في هذه الحلقة هو بلسانه كما يلي:

"هذا يتضمن ما استفدت من الأستاذ الفراهي وما استطعت أن أزيد عليها من ناخب وغير ناخب".³

وقد أعدّ الشيخ الإصلاحي لهذه الحلقة منهجاً متخصصاً ومقررات دراسية متميزة لثلاث سنوات تستغرق ساعتين يومياً وكان قد علّم الشيخ وفق هذا المنهج عديداً من أهل العلم وجاء هو نفسه ببيان هذا المقرر والمنهج مفصلاً كما يلي:

¹ مجلة حيات نو، يونيو 2017م

² مقالات إصلاحي، ترتيب: خالد مسعود، مؤسسة فاران، لاهور، باكستان، 1/319

³ المصدر نفسه، ص 325

"قد تعرضت في تدريس القرآن كل ما يلزم المرحلة البدائية من أمور ومباحث مثلاً: دراسة الكلمات وتحقيقها، النحو، اللغة واللسان، الأسلوب، النسق والترتيب، تأويل الآيات والاستنباط منها الأحكام والمسائل ... ولم نتعرض في البداية المباحث الدقيقة من الحجج والحكم وفي السنة الثانية والثالثة سنأخذها تدريجياً قدر ما تقتضيه الحاجة ليتعرفوا على فلسفة القرآن وعلم كلامه وحكمته.

قد علّمت هؤلاء الطلاب النحو والصرف على نهج الأستاذ الفراهي بطريقة التمارين ولم تستغرق أكثر من شهرين ونصف أو ثلاثة أشهر، ثم علّمتهم كتاب مطالعة أعده الفراهي للمبتدئين، ومع ذلك لم يزل درس القرآن مستمراً من أول يوم شاملاً كل ما تسرب إليه من قضايا النحو واللغة ونظم الكلام وتأويل الآيات. وبعد كتاب المطالعة درسوا في الأدب أولاً كتاب كليله ودمنة وثانياً مقدمة ابن خلدون؛ وكنت أريد بداية أن أدّرسهم المقدمة بكاملها ولكن بعدما رأيت من استعدادهم الجيد قرّرت أن لا حاجة لهم إلى تعليمها درساً درساً، فأخذت أعلمهم ديوان الحماسة، وإذا أتموا الحماسة ليسوا بحاجة إلى أي شيء في الأدب ليدرسوه درساً درساً، وإلى جانب الحماسة يلزم الصحيح لمسلم في الحديث أن يدرس كاملاً، وبعد أن ينتهوا من الصحيح لمسلم لن تبقى لهم حاجة إلى تدريس أيّ كتاب في الحديث. ثم يبدأ بتدريس كتاب "بداية المجتهد" في الفقه بعد الصحيح لمسلم بكامله والنصف من القرآن الكريم (خمسة عشر جزءاً)، وبعد ذلك يبدأ في كتاب "حجة الله البالغة" ويدرس الجزء الأول منه درساً درساً ويقرأ الجزء الثاني منه الطلاب تحت إشراف الأستاذ".¹

قد نقلنا مختلف المقتبسات من مقالات الإصلاحية ههنا ليطالع القارئ على مناهج مدرسة الفراهي للقرآن الكريم ومقرراتها الدراسية بالتفصيل من نفس الشخصية التي بذلت جهوداً جبارة طول حياته لتعريف هذه المدرسة بين الأوساط العلمية وتطوير

¹ المصدر نفسه، ص 318-324 (باختصار)

فكرها ومنهجها بلسانه وقلبه لتكون عالمياً؛ ألا وهي الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، فقد علمنا منه قدراً كبيراً من التفصيل لمنهج مدرسة الفراهي وما يتضمنه من المقررات الدراسية والكتب المختارة.

فثبت وتجلّى من هذا البحث الطويل أنّ مدرسة الفراهي لتدريس القرآن الكريم تهتم أصالة بالقسم الثاني من قسمي تعليمه وتدرّسه الأساسين البارزين وهو "تعليم الحكمة وتبيين الآيات" ثم لا يهملها إلا الجزء الثاني من هذا القسم الأساسي وهو بذل الجهود للتوصل إلى معاني النصوص القرآنية ومراد آيات كتاب الله من طريق التدبر فيها مباشرة فكاد أهل هذه المدرسة لا يلتفت إلى الجزء الأول من قسم تعليم الحكمة وتبيين الآيات أي التفسير بالمنقول والمأثور. أما القسم الأساسي الأول لتعليم القرآن الكريم وتدرّسه وهو "تعليم الحروف والأصوات" فقليلاً ما تهتم به هذه المدرسة وأهلها وعندهم العذر لهذا الإهمال فإنّ عملية التدبر في آيات الله لتأويلها المحكم كما تشغلهم عن النظر إلى كتب التفسير بالمنقول والمأثور، تشغلهم عن الاهتمام اللازم بتعليم الحروف والأصوات كذلك؛ فحينئذ لا يكونون ملومين بتأناً إلا أنّ هذا الإهمال ربما يتفاقم سيئته ويزداد شره إذا تخرج من أفواه بعضهم كلمة أنّ تعليم الحروف والأصوات شيء لا يلزم وعمل غير ضروري حتى سمع بعض أفاضلهم يقول إنّ علم القراءة والتجويد هو عمل المران للفكوك والأسنان، فهذا شين لهم. ومع ذلك كله فإن هؤلاء كلهم مغبوطون لما قدمت هذه المدرسة وصاحبها المعلم الفراهي لتعليم حكمة القرآن وتبيين آياتها بالتدبر في نظمها من خير عظيم ومنهج قويم أمام الأمة ولما اكتشف هو وتلاميذه وأعلام مدرسته البارزون متابعين من خلال هذا المنهج عن عديد من الآلي والدرر في نسق الآيات والسور فيستحقون جميل الثناء وجزيل الشكر منا ومن الأوساط العلمية بآجمعها.